مجلة المحترف لعلوم الرياضة والعلوم الانسانية و الاجتماعية

المجلد (08) العدد (01) السنة (2021)

الصفحة (92–108)

استحضار الظاهرة الاحتفالية ضمن المخيال الثقافي للمجتمع الجزائري

"يناير نموذجا للبعد الحضاري"

Evoking the ceremonial phenomenon within the cultural imagination of Algerian society

"January is an example of the civilizational dimension"

عبد الرحمان بوجليدة* ، **بوخدوني صبيحة**

جامعة علي لونيسي البليدة – ٢ (الجزائر)rahimoboudj@gmail.com

جامعة علي لونيسي البليدة – ٢ (الجزائر)sabib@live.fr

معلومات البحث

تاريخ الاستلام: 06-05-2021
تاريخ القبول:10-06-2021

Printed ISSN: 2352-989X
Online ISSN: 2602-6856

الملخص:

تنطلق هذه الدراسة من منظور مقاربة أنثروبولوجية سعيا لإبراز بعض مظاهر الثقافة الشعبية في أشكال التواصل ضمن مختلف المناسبات في المجتمع الجزائري ، والتي هي ليست وليدة العصر الحالي وإنما هي أشكال تعبيرية قديمة قدم تعاطي الإنسان للفن واحتياجاته للتعبير عما يجيش في نفسه من مشاعر وأحاسيس ، رغم أن الناس تختلف في النظر إلى وظيفتها من المتعة الفنية إلى الحقيقة التاريخية، إلا أنها تستحضر تفاصيلها عند كل مناسبة إبرازا لمواقفهم وذواتهم وهمومهم وأفراحهم .

ومن يغوص في تفاصيل الذاكرة الشعبية للمجتمع الجزائري بجغرافيته الشاسعة، يدرك غناها التراثي الفني والأدبي ومدى حضور أشكال الفن والفلكلور المتباينة في جميع التحولات التي شهدها المجتمع ، ونخص في سياق هذا الكلام الاحتفالات من خلال التطرق لبعض مظاهرها الطقوسية المعبرة عن الفرح والابتهاج ولمدلولاتها الرمزية المنتجة لمعاني الود والتضامن الشعبيين.

الكلمات المفتاحية: التراث، الطقوس، الذاكرة الشعبية، أشكال التواصل.

ABSTRACT

This study starts from the perspective of an anthropological approach that seeks to highlight some aspects of popular culture in the forms of communication within the various occasions in Algerian society, which are not a product of the current era, but rather ancient expressive forms as old as man's use of art and his needs to express what emotions and feelings simmering in himself, despite the fact that People differ in their perception of its function from artistic pleasure to historical truth, but it evokes its details on every occasion to highlight their positions, their selves, their worries and their joys.

Whoever delves into the details of the popular memory of Algerian society with its vast geography, realizes its rich artistic and literary heritage and the extent of the presence of different forms of art and folklore in all the transformations witnessed by society, and in the context of this speech we specialize in the context of these celebrations by addressing some of their ritual aspects that express joy and joy and their symbolic connotations that produce the meanings of friendliness. Popular solidarity.

Keywords: Heritage, rituals, popular memory, forms of communication.

* المؤلف المرسل

١. مقدمة:

شكل موضوع الظاهرة الاحتفالية محورا تشترك في دراسة عديد التخصصات في العلوم الإنسانية والاجتماعية على حد سواء، نظرا لتموقعه ضمن أرضية مشتركة فيما بينها ، وفي خضم اتساع مجالات البحث والتداخل في جوهر الظاهرة والتعقيدات التي تطرحها رقعة البحث ، يجمع العديد من الباحثين على اعتبار أشكال الاحتفالات وما يصاحبها من طقوس وشعائر وممارسات، نشاطا إنسانيا متميزا يعكس ثقافة الشعوب ، ويراها البعض أبعد من ذلك إذ يعتبرونها مقياسا لدرجة تحضر أي مجتمع لأنه يندرج ضمن الموروث الثقافي المتداول ، الذي يتم استحضار دلالاته في المخيال الشعبي للأفراد والمجتمعات .

هذه الأحكام التي تحولت بفعل العديد من الأدبيات إلى مسلمات ينطلق منها كل باحث في الظاهرة الاحتفالية ، كانت منطلقا أيضا لارتكاز الدراسات الأنثروبولوجية على بعض جوانب الظاهرة ، كالتركيز على الآثار التي من الممكن أن تتركها أشكال التواصل الاجتماعي الذي يرافق هذه الاحتفالات، وما تكتسيه هذه الأخيرة من حمولات وتمظهرات تعكسها مختلف الممارسات المصاحبة لذلك ، وكذا خصوصية كل مجتمع في كيفيات الاحتفال وانعكاساته على زيادة التضامن والتماسك الإجماعيين بين أفراد المجتمع الواحد.

وضمن هذا السياق جاءت هذه الدراسة من منظور مقاربة أنثروبولوجية ، سعيا لإبراز الخلفيات الثقافية للظاهرة الاحتفالية في المجتمع الجزائري ، وذلك باستعراض مسار هذه الخصوصية كموضوع دراسة من خلال انتقاله من الهامش إلى المركز ، والحديث باختصار عن واقع البناء الاجتماعي السائد ودور أجواء الاحتفال في تعزيز تماسكه وتفعيل مظاهر التلاحم والتكافل بين أفراده ، والوقوف على نموذج التجربة الجزائرية كجزء لا يتجزأ من الموروث الثقافي المغاربي بمختلف أبعاده ، والتي تعد المحور الأساسي لهذه الدراسة بالوقوف أيضا على دلالاتها الرمزية التي أنتجتها أشكال التواصل التقليدية والمعاصرة بين أفراده ، والتي ساهمت في استمرارية هذا الموروث ضمن حيز الخصوصيات.

٢. المقاربات المنهجيّة والمفهميّة للدّراسة

١.٢ اشكاليّة الدّراسة:

إنّ الاهتمام بالطّقوس و دراسة مختلف الممارسات المعتقدية من البحوث الأكثر انتشارا في حقل الدّراسات العلميّة خاصة الأنثروبولوجيّة منها، لما لها من أهميّة بالغة، حيث تشكّل المرآة العاكسة لقضايا المجتمع الشّعبي في حيز جغرافي وزمكاني معيّن، كما تمثل حلقة وصل تربط بين تاريخ غابر في زمن سحيق بالحاضر وكذا المستقبل ، وبهذا تشكّل أحد أهم مصادر التراث الحيّ الّذي يمثّل المعقل الواسع الّذي ينفذ منه الباحث الحقلي، والذي يعتمد عليه في فهم واستنطاق الميدان ليفسّر التّراث الثقافي باعتباره المحدد لطبيعة العلاقة الاجتماعية المرتبطة عضويا بكلّ مجالات حياة الأفراد، حيث يعتبر التراث تجسيدا للجانب.

الاجتماعي المشترك لسلوك مختلف الأفراد في المجتمع الواحد ، فمثلا تصور ثقافة **ينّاير** في المجتمع الجزائري عموما **والمجتمع القبائلي** خصوصا كعنصر هام من عناصر التراث الثقافي الرّوحي والوجداني ، جانبا أساسيا تتحدّد في ضوئه مجموعة من المعتقدات والتقاليد، تترتّب عنها مجموعة من الممارسات الاجتماعية والطقوس التي يتمّ استحضارها كلّما سنحت الظّروف بذلك، وفقا لتكرارات زمنيّة معيّنة ، والدّارس المتمعن في حيثيات هذه التظاهرة الثقافية التراثية يتساءل حول أصولها وكيفية صياغة مبادئها ومعتقداتها التي نصّت عليها الذّاكرة الجمعية للأفراد ممّا جعلها ثقافة موحّدة ومتّفق عليها عبر كافّة ربوع الوطن، إلا أنّه وفي ظلّ التغيرات البنيويّة الكبرى التي مسّت المجتمع الجزائري على جميع المستويات حدث تغيير في أنماط الحياة السوسيوثقافية للأفراد كما هو الشأن بالنسبة لأسلوب تفكيرهم، إلى جانب عزوفهم عن معطيات الحياة الشّعبية بطرقها وممارساتها، وهكذا بدأت الكثير من العادات والتقاليد في الإندثار لاسيما التي تميّز الإحتفالات الشعبية، و**احتفالية ينّاير أو ما يسمى بالتويزة أو الختان أو الوعدة** أو غيرها من أنواع الاحتفالات ، لم تكن بمعزل عن هذا العزوف رغم طقوسها الغامضة، وهذا ما يجعل منها موضوعا مثيرا للدّراسة والتّحليل للتّعرف على تاريخ هذه الظاهرة الاحتفالية والكشف عن مظاهرها الثّقافية وأهمّ ممارساتها وطقوسها المتجذّرة في المخيال الشّعبي لأفرادها(**صحرة ،٢٠٢٠، ص٤٨٧**)، ونظرا لأهيّة الموروث الثّقافي المحلي في تكوين شخصيّة الفرد الجزائري، وإيمانا منّا بأهميّة المحافظة على هويّتنا الوطنيّة وانطلاقا من أهمية هذه الاحتفاليات والغموض الذي لازال يكتنف طقوسها، رأينا أنّه لابدّ من إعادة انتاج الميدان الأنثروبولوجي الجزائري المحلّي والتّعرّض لهذا الموضوع والبحث في الأسس والأبعاد الإجتماعية والوظائف البنيويّة للطّقوس الممارسة، وتحليل دلالاتها الرّمزية، والخروج بهذه الدّراسة التي تكتسي أهمية بالغة ، لاسيما وأنّ البحوث في هذا المجال الطقوسي قليلة جدا إن لم نقل منعدمة في المجتمعات المحلّية ، لذلك تسعى هذه الدّراسة إلى توثيق هذا الموروث الثقافي قبل زواله بموت حامليه وهم كبار السّن ا لّذين مازالوا يجاهدون ويصارعون عولمة الثقافات في محاولة منهم للمحافظة على تراثهم الرّوحي وكيانهم المعنوي، كما تسعى أيضا إلى إضافة مادّ ة جديدة إلى السّاحة العلمية عموما وإلى الحقل الأنثروبولوجي خصوصا.

وللإحاطة بموضوع **الظاهرة الإحتفالية** في المجتمع الجزائري أشكلنا دراستنا في التّساؤل التالي :**ما هي أهم الممارسات المصاحبة لمظاهر الاحتفال في المجتمع الجزائري وما الدّلالات الرّمزية لمنظومة الطقوس الّتي يتم استحضارها؟**

وكون طبيعة البحث هي التي تحدّد منهجيته من خلال تحديد نوع المقاربات المنهجيّة والمفهميّة التي يتبنّاها الباحث وكذا تحديد التّقنيات والأدوات البحثيّة ا لّتي يستخدمها في استقراء المعلومة واستنطاق الميدان، وحتى نتمكّن من تحقيق الأهداف المسطّرة لهذه الدراسة والإجابة على أهمّ تساؤلاتها الموضوعة والمتمثّلة في التّقصّي حول تاريخيّة التظاهرة وتحديد معالمها من خلال تحديد معتقدات الأفراد الطّقسية وفهم دلالاتها، قمنا بجمع مدوّنات مرتبطة بالتاريخ الثقافي والشعبي، اعتمادا على الوصف الانثنوغرافي كمرحلة سابقة للدّراسات الأنثروبولوجية المعمّقة، ثمّ اعتماد التحليل الاثنولوجي كمرحلة لاحقة .

ولأنّ الظاهرة الاحتفالية شديدة التّعقيد لتداخل العديد من المدلولات الرّمزية وتداخل أدوارها الوظيفيّة ممّا يجعلها حسب فكر **مارسيل موس**(ظاهرة اجتماعية كليّة ينبغي أن تدرس من كلّ زواياها وجوانبها لكي نستطيع فهمها)،ولتحقيق ذلك حاولنا تفسيرها من مختلف الزوايا واستكشافها بمختلف الطرق والتقنيات لمعرفة الكامن في الإرث المعرفي والثقافي واستجلاء المسكوت عنه واللاّمفكر فيه وإعادة قراءة ما وصلنا اليه وفكّ رموز ما هو راهني من ظواهر للوقوف على ما هو مُعاش ومُمَارَس في المجتمعات الانسانية (**بوطقوقة مبروك، ٢٠١٦**) وذلك بالاستناد إلى ترسانة من الأدوات البحثيّة لاستكشاف الميدان وتسجيل المعطيات وجلب البيانات، وتحليلها.

٢.٢ قراءة تحليليّة لمفاهيم ومصطلحات الدّراسة:

تستوجب دراسة أي ظاهرة من ظواهر الثقافة الإنسانية الوقوف عند أهم مصطلحاتها من أجل فهمها وتحليلها، ولهذا وقبل الولوج إلى عمق الموضوع لفكّ اشكاليّته كان لزاما علينا الإحاطة بعناصرها الرّئيسة لتسهيل الفهم والتحليل:

٢-٢-١- الفضاء الطّقسي(الطّقوس)

يحتلّ الفضاء الطّقسي كمفهوم وخطاب خاص موقعا مميّزا في الدّراسات الأنثروبولوجيّة، وقد حاول الكثير من الباحثين من خلال مفهوم الفضاء هذا إدراك سرّ التّرابط الاجتماعي، الفكري والثّقافي وسيرورة الطّقوس الممارسة التي تعلّم الفرد كيفيّة الانتماء إلى ثقافة المجتمع، وهو ذلك الحيز الذي يقوم ويتضمّن سلسلة من الطّقوس والممارسات والمعتقدات.

الطّقوس :يعرّفها قاموس petit robert بأنّها " Ritus وهي مجموعة من الاحتفالات داخل جماعة معينة، وهي تنظيم.

تقليدي لهذه الاحتفالات (**P Robert, 1967 , 2231**) وذلك من خلال تكرار واستدامة القواعد التي تثبته إلى تكريس ديمومة الحدث الاجتماعي، أو الأسطوري الذي أوجده (**طوالبي نور الدّين، ١٩٨٨، ص٣٤**) ويشير **شاكر سليم** أنّها" فعاليات وأعمال تقليدية لها في الغالب علاقة بالدّين والسحر، يحدّد العرف أسبابها، فهي مشتقة دائما من حياة الشّعب الذي يمارسها، حيث يعتقد البدائيّون أنّ أداءها يُرضي الآلهة والقوى فوق الطبيعة (**شاكر، ١٩٨١ ، ص٨٢٤**)

*مكننا القول أنّ الطّقوس عبارة عن تنظيم وبروتوكولات تمارس في احتفاليّة معينة لاستعادة زمن الأصل، أي إعادة انتاج وتحيين لماضي غامض(له أكثر من تأويل)واثبات لاستمرارية حدث اجتماعي أو ميثولوجي مشهور، من خلال بعض الممارسات التي تعتبر أساسيّة في الاحتفال ومقدّسة لدى حامليها، وهذا يقتضي التّكرار الطقوسي للحدث في شكله الاحتفالي.

٢-٢-٢- احتفاليّة:

الاحتفال :جاء في معجم الفيروز ابادي أن كلمة" الاحتفال لغة هي من حَ ف ل الماء واجتماعه، يحفل حفولا وحفيلا أي اجتمع، وتَحفَّلَ بمعنى تز يَّن، وحَفُلَ المجلس أي كَثُرَ أهله (**الفيروز ابادي ، ١٩٧٩ ، ص٣٤٧**)

كما يمثّل" تجمّع عدد من أفراد المجتمع بهدف التّعبير عن وجهات نظر مشتركة بفعاليات منظمة رمزية، تؤدّى في مناسبات معلومة (**شاكر، ١٩٨١ ، ص١٦١**)

٢-٢-٣- التّغيّر الثّقافي :

كلمة تغيّر في اللّغة العربيّة تدلّ على التّبدّل والتّحوّل، كما أنّها تعني الأشياء واختلافها، ويشير المصطلح في اللغة الانجليزية الى معنى الاختلاف في أي شيء يمكن ملاحظته في فترة زمنيّة معيّنة.

والتّغير الاجتماعي والثقافي كمفهوم متعارف عليه في العلوم الاجتماعية والانسانية يعدّ من السّمات التي لازمت الانسانية منذ فجر نشأتها حتى عصرنا الحاضر، ليصبح أحد السنن المسلّم بها واللاّزمة لبقاء الجنس البشري، وتحقيق الاستمراريّة والتّكيّف مع أنماط الحياة ومستجدّاتها. ويعرّف معجم العلوم الاجتماعية التغيّر الاجتماعي بأنّه" كلّ تحوّل يقع في التّنظيم الاجتماعي سواء في بنائه أو في وظائفه خلال فترة زمنيّة معيّنة، ويشمل ذلك كلّ تغيّر يقع في التّركيب السكاني للمجتمع او في بنائه ونظمه الاجتماعيّة، أو أنماط العلاقات الاجتماعية أو القيم والمعايير المؤثّرة في سلوك الأفراد والتي تحدّد مكانتهم وأدوارهم (**بدوي، ١٩٧٨، ص٣٨**)

٣. مسار الظاهرة الإحتفالية :

يبقى الإهتمام بالإحتفالات قديما قدم الإنسان نفسه ومرتبطا ارتباطا لصيقا بوجوده من خلال تخصيصه لجملة من الممارسات والطقوس للإحتفاء بها، المؤطرة لسلوك الإنسان عبر مختلف الأزمنة ، رغم أن المرجعيات التي كانت تستند إليها الدراسات كانت في غالبيتها قيمية مستمدة من خلفيات دينية ورؤى وأفكار فلسفية متشعبة ،إلا أن البحث في الموضوع

بدأ يرتكز على تفاصيل أكثر دقة على اعتبار أن الاحتفالات وطقوس العبور السنوية أو الموسمية من المظاهر اللصيقة بالإنسان البدائي والمتحضر على حد سواء ، فمنذ أن وجد الإنسان وجدت معه احتفالاته وطقوسه وشعائره (**بووشة، ٢٠٠٦، ص٠٢**)، فلحظات الفرح والانتصار واللقاء والزواج ،واستعطاف المقدس بدأت منذ القدم كصيرورة إنسانية رافقت وجود الإنسان روحا وجسدا ولطالما أحس الإنسان بحاجته إليها .

كما أن البرق والرعد والشمس والقمر والنار ، بقدر ما تكتسي رهبة فإنها كانت جذابة في اتخاذها كآلهة تقدم لها القرابين والأضاحي كعربون وفاء وارتباط ن ورمز للإستئناس والتطهر ، وضمن هذه المعطيات والشروط غدت

الظاهرة الإحتفالية مندمجة ضمن سياق تواصلي لا ينفصل عن سياق التاريخ والدين والإجتماع الروحي والعقائدي في تطوراته وتمظهراته وتفاعلاته وتجلياته فارتبطت الإحتفالات في بداياتها بالدين الذي لم تجد بديلا عنه .

وإن كانت الظاهرة الإحتفالية تتناولها علوم ومقاربات معرفية عدة حيث نجدها في التاريخ وعلم الإجتماع وعلم النفس والأدب والفلكلور وعلم الأديان ،ذلك لتشعبها وشموليتها وتداخلها إلا أنها تجد ظالتها أكثر في الأنثروبولوجيا ، بحكم أن هذه الأخيرة مؤهلة بشكل أكبر من غيرها لدراسة المجتمعات الإنسانية التقليدية عموما وثقافة هذه الشعوب بشكل أدق ،ذلك بأنها تخترق الحقول الدلالية الرمزية لهذه المجموعات التي تؤلفها الأساطير والطقوس والإحتفالات والآداب والفنون بأشكالها المتعددة ، فتقوم بتتبع دلائلها وتفكيك رموزها ومكوناتها وذلك بالغوص في ثنايا الذاكرة الجمعية ، من روايات وأساطير وحكايا ...

كما أن الأنثروبولوجيا من خلال أدوات منهجها المتخصص تسعى دوما لرصد تاريخ الأديان والأساطير في المخيلة الإنسانية ، كما تسعى أيضا إلى تفكيك الرموز والصور المتعلقة بأي مجتمع من خلال تعبيراته الجسدية والرمزية خصوصا في احتفالاته.

لذا نجد العديد من الدراسات الأنثروبولوجية التي أولت اهتماما خاصا بالبحث والتقصي لذات الموضوع نجد من بينها " أميل دير مينغهام " و " ألفرد بل " و " ويسترمارك " و " جاك بيرك " و " كليفورد غيرتز " و " راد كليف براون " وغيرهم كثر ممن أشاروا إلى الطقوس الإحتفالية في المجتمعات التي درسوها ، كما اهتم بالموضوع أدباء ومؤرخون ورحالة عبر مراحل تاريخية متفاوتة قدموا مادة خبرية دسمة ساهمت في تكوين رؤية حول الظاهرة الإحتفالية بجميع أبعادها الثقافية (**الشيباني، ٢٠٠٠، ص٨٧**)، كما أنه هنالك من تناول الظاهرة من وجهة نظر أخرى كظاهرة مسرحية مثل " جون ديفينو " و "قوفمان " ومنهم باحثين عرب اتبعوا ذات الطرح أرجعوها إلى أشكال مسرحية أو قبل مرحية مثل الدكتور " حسن يوسفي " والدكتور " حسن المنيعي " و" سعيد الناجي " وغيرهم كثر .

وكون الإحتفال ظاهرة طقوسية وأنثروبولوجية بامتياز فقد دشن هذا العلم عمله وأخذ شرعيته العلمية بدراسة أساطير وطقوس المجتمعات البدائية ، حيث أخذت الظاهرة الدينية الطقسية حصة أكبر لدى الأنثروبولوجيين القدامى كونها تسترعي الإنتباه ، ناهيك عن كونها ظاهرة مركزية لأنها طقس عبوري في حياة القبيلة ، ومن هؤلاء الأنثروبولوجيين " مارسيل موس " الذي درس الهبة ورد الهبة وطقوس البوتلاتش (**موس، ٢٠١١، ص٦٥**) و "كلود ليفي شتراوس " في كتابه الإنسان العاري وكلهم يجمعون حول تساول رئيسي يتمحور حول خلفيات هذه الظاهرة الاحتفالية الطقوسية.

ويشترك المجتمع الجزائري بجميع توجهاته وطوائفه الثقافية على غرار باقي دول المغرب العربي في الموروث الثقافي الضارب في جذور التاريخ والذي تظهر تمثلاته في الإحتفالات الموسمية والسنوية بجميع أشكالها ، كما تجمعه عوامل كثيرة ومتنوعة جغرافيا واجتماعيا وثقافيا ، فالطقوس والممارسات المختزلة في دواخل الذاكرة الجمعية والتي تظهر بأشكال مختلفة من رقصات وتعابير وايماءات طقوسية ودينية تتعلق بفضاء الإحتفال هي نمط حاسم لسيرورة المعرفة من

جهة ، وهي قيم حقيقية بسبب وظيفتها المتميزة والهادفة للمحافظة على العادات والتقاليد والقيم ، جعلت من المجتمع الجزائري لوحة فنية لفسيفساء تعكس مدى التمازج والتلاقح الحضاريين .

٤. واقع الإحتفالات في ثقافة المجتمع الجزائري:

تكتسي المناسبات الإحتفالية ومختلف الطقوس المصاحبة لها أهمية كبرى لدى الأنثروبولوجيين ، حيث انتقلت مثل هذه المواضيع ذات المعطى القبلي والعشائري والإجتماعي من هامش المواضيع ذات الأهمية إلى المركز في مختلف العلوم الإنسانية والإجتماعية ، خصوصا مع مطلع القرن العشرين ، وهذا بالنظر لخصوصية الموضوع والذي تترامى أطراف بحثه بين المقاربات الأنثروبولوجية للجسد والمقاربات الرمزية وبين الآداب والفنون والفلكلور الشعبي والتاريخ الإنساني ، من هنا تم إدراج هكذا مواضيع ذات الجاذبية والفضول المعرفي والأكاديمي في حقل الأنثروبولوجيا لأنه يقع ضمن جوهر الدراسات الأنثروبولوجية الإجتماعية منها والثقافية ،بعدما كانت مواضيع تتنازعها عدد من العلوم كالفلسفة والطب أو يشار إليها ضمن المدونات والنصوص الدينية في الأديان السماوية والوضعية .

وللحديث عن مظاهر الإحتفال في المجتمع الجزائري فلا بد من المرور نحو الثقافة السائدة بالمجتمع والوقوف عندها قليلا من أجل الخوض في مسألة الدلالات الرمزية لحضور مختلف الطقوس الإحتفالية ضمن الممارسات الثقافية والإجتماعية في مجتمعنا الجزائري العريق ، والتي لا يمكن أن تفهم بمعزل عن الثقافة التي تؤطرها وتضفي عليها السمات التي تميزها ،الأمر الذي يحيلنا إلى الحديث بنوع من الإختصار عن المعنى الذي نقصده من ثقافة المجتمع الجزائري وكذلك ضرورة التمييز بين نمطين من الثقافة وهما الثقافة الشعبية التي تعبر عن مجموع العناصر الثقافية التي تصدر عن الشعب وتمثل حصيلة معارفه وخبراته ومهاراته في مراحل تاريخية معينة والتي عادة ماتتسم بالأصالة ، وبالتالي فهي خزان التراث والحافظ له ، وهي أهم عوامل التكامل المحلي الوطني في ابرازها لخصوصية المجتمع وهويته .

أما الثقافة العالمة فهي ترمز إلى المعارف العلمية والفنية والأدبية للفرد داخل المجتمع وهي من اختصاص النخبة المفكرة (**Bonnewitz, 1997, p15**)، والمتصفح لتاريخ الثقافة الجزائرية المعاصرة يجدها ثمرة تمازج وتلاقح لجملة من الثقافات على مر الأزمنة ذات امتدادات افريقية أمازيغية عربية إسلامية انصهرت في بوثقة واحدة وأعطت مدلولا لثقافة المجتمع الجزائري وهويته وقيمه ، هذه القيم التي تعد من أهم الجوانب التي تعمل الثقافة على غرسها في المجتمعات لكونها في نظر الأنثروبولوجيين إحدى أهم الملامح الثقافية .

وقد عرفت العناصر الثقافية في الجزائر العديد من التحولات وتعرضت للعديد من التغيرات خاصة في النصف الثاني من القرن العشرين وذلك بفعل التغير الذي عرفه المجتمع ككل ، في عملية تأثيرية متبادلة بداية من فترة الإستعمار وما تخللها من إبادات جماعية وتهجير للأهالي نحو المدن المستوطنة وصولا إلى مرحلة الإستقلال وما بعدها ، وازدياد الهجرة الريفية نحو المدن خاصة الساحلية منها والصناعية ، ومع التزايد المرتفع للولادات مقارنة بالمراحل التي سبقتها فهي كلها عوامل ساهمت في اللاإستقرار والضعف في التواصل بين الأجيال (**بورايو، ١٩٨٦، ص٣٩**) ،مما انعكس على استمرار التقاليد الموروثة ومسألة الهوية أصبحت مغيبة ،هذا ما فرض ضرورة حتمية واستعجالية بالتوجه جماعيا للعناية

بالثقافة الشعبية وجمعها من كل أنحاء الوطن واستعادة الذاكرة الجمعية للموروث الثقافي الجزائري الضارب عميقا في جذور التاريخ الإنساني بكل الطرق والوسائل المتاحة والاهتمام باللهجات الوطنية المحلية سواء العربية منها أو الأمازيغية، فكل لغة هي وعاء لثقافة من يستعملها.

ومن هنا تشكلت حالة من الوعي ساعدت في خلق وضعية من الاستفاقة عجلت بإدراك أهمية الموروث الثقافي للمجتمع الجزائري ، ومع دخول الدراسات الأنثروبولوجية ميدان الدراسات الجامعية الأكاديمية في الجزائر ، ورغم تأخر الاعتراف بها مقارنة بباقي دول العالم خاصة الأوربية منها ، إلا أن ما قدمته من دراسات وأبحاث وتآليف فردية وجماعية في المحيط الثقافي ساهم في تسليط الضوء على أهم العناصر الثقافية خصوصا بعد تنصيب أول معهد وطني للثقافة الشعبية بجامعة تلمسان (**حاج مراد، ٢٠٠٢، ص٢٣**) وما تلاها من خطوات ومراحل عكست الجهد المبذول لإبراز مختلف العناصر والمظاهر المكونة لثقافة الجزائريين .

فعلى مستوى العادات والتقاليد ومختلف المناسبات التي تمارس ضمن دورة الحياة نجد الإحتفال بالميلاد ، ختان الصغار ، الزواج ،الأعياد والمناسبات الدينية كعيدي الفطر والأضحى وعاشوراء احتفلات تقليدية ذات بعد تراثي كالزردة والوعدة والتويزة ، أو الاحتفالات بالأعياد الوطنية ، كما توجد مناسبات أخرى تتعلق بالحياة اليومية كالاستقبال أو الضيافة وعلاقات الجيرة ...

أو ما تعلق منها بالأدب المتوارث من قصص وبطولات وأساطير وحكايا متداولة عبر الأجيال ، أشعار شعبية كالشعر النسوي وشعر البوقالات ، الشعر التاريخي وشعر الأغاني والمدائح الدينية ، الأمثال الشعبية ، الألغاز والنوادر.

أما على مستوى المعتقدات والمعارف الشعبية فمنها ما تعلق بالظواهر الكونية ومختلف التفاسير التي تعطى لها كالخسوف والكسوف وعدم سقوط الأمطار ، ومنها ما يتعلق بالمعارف ذات العلاقة بالحيوان والنبات والزمن والمواسم والمناخ والمعادن وغيرها ،بالإضافة أيضا إلى أمور تتعلق بالسحر والشعوذة وزيارة الأضرحة وتفسير الأحلام بالمعارف المرتبطة بالأعداد والألوان.

ناهيك عن الفنون الشعبية والثقافة المادية التي تشمل الموسيقى بجميع طبوعها ، الأندلسية والعاصمية ، البدوية، الصحراوية ، موسيقى الحواضر والموسيقى الريفية ومختلف الرسوم والنقوش والآثار ، كما تأخذ الألعاب الشعبية حيزا كبيرا وكذا فنون التشكيل الشعبي من أشغال يدوية وأزياء وتطريز وصناعة الحلي والنسيج ، كلها مظاهر ثقافية تصاحبها طقوس احتفالية تعكس تراث المجتمع الجزائري الذي لا يمكننا أن نتطرق إلى كل عناصره نظرا لتشعبها واتساع مواضيع البحث فيها ، فكل عنصر من عناصر الثقافة الجزائرية يتطلب آلاف الدراسات والمقالات والبحوث.

٥. يناير بين المصطلح و المفهوم:

كلمة أمازيغية مركبة " الناير "أو" يناير "من حيث المصطلح هو من (ين– أيو) أي رقم١ – الشهر أول الشهر، وهو نفسه ما يطلق عليه اسم رأس العام عند القبائل المعتربة أو العربية ، وفي مضمونه ومفهومه هو إحتفال مرتبط بالزراعة أي بخصوبة الأرض ووفرة الغلة، أو بمعنى آخر ، مرتبط بموسم الحرث والبذر ، وبالتالي فهو احتفال للتعبير عن التفاؤل بسنة خير على الفلاحين وعلى الناس بشكل عام مهما اختلفت أعراقهم. ومن طقوسه الأصيلة، طهي الحبوب من قمح ،ذرى ، حمص وفول وأيضا تغيير أحجار الكانون أي موقد النار. ويحتفل الجزائريون مثل غيرهم من سكان البلد المغاربية بهذا العيد ، من مدينة تبسة شرقا الى مدينة مغنية غربا و من الجزائر العاصمة شمال الى منطقة التوارق في أقصى جنوبنا الكبير. وقد احتفل سكان الجزائر بهذا العيد منذ القدم ، ولانعرف بالضبط متى بدأالإحتفال به ،إلا أننا نعلم بأن المستعمر الروماني أدخل التقويم اليولياني على بلاد المغرب القديم.، هذا التقويم الذي جعل بداية السنة شهر جانفي عوض مارس ، وبقي معمول به وسط الأهالي الفلاحين المرتبطين بالأرض. وإذا كانت المصادر اللاتينية قد ذكرت سكان هذه البقاع تحت مسميات " المازيل والمازيسيل "أو" النوميد والمور "، فإن الفضل كله يرجع للمصدر المصري الذي حفظ ووثق اسم أقدم الأقوام التي سكنت هذه الربوع ، وهم قبائل " المشواش "، هذا الإسم الذي خطه الكاتب المصري على لفائف البردي ونقشه الرسام المصري على بوابات ومسلات المعابد المصرية، هذا الاسم الذي تحوروتطور عبر الأزمنة الى اسم" الأمازيغ (**باقر، ١٩٨٦، ص١٤٦**) ، فسبقوا (أي قدماء المصريين) بذلك المؤرخين و الجغرافيين العرب في التعريف بالأمازيغ ،ولكن السؤال الذي يبقى مطروحا هو متى بدأ التأريخ الفعلي لهذه الاحتفالات بالضبط ؟

يبقى العوز قائما فيما يخص النصوص التاريخية في هذا المجال تحديدا فلا هيرودوت ولا أي من المصادر القديمة تحدث عن هذه الاحتفالات رغم ذكرها لاحتفالات اخرى ، ربما تم دمجها مع بعضها البعض .

حيث نجد "إيدير بلانتاد "انطلاقا من بعض النصوص التاريخية الرومانية أراد أن يثبت قدم الاحتفال بيناير الذي قال أنه هو نفسه laniarius اللاتيني ، واعتمد في مقاربته على بعض الكتابات العائدة للفترة الرومانية وبعض الدراسات الأثرية .

كما نقل " بلانتاد من ترتوليان" Tertullien الذي ألف كتابه عن الوثنية سنة ٢١٢م نصا جاء فيه النهي عن تقليد الوثنيين (سكان شمال افريقيا) في احتفالهم بالعام الجديد ((Yidir ,op,cit :p02 وهو الينار.

كما نقل من دراسة أثرية" للويس فوشي " أن فسيفساء ثيسدروس Thisdrus بالجم بتونس حاليا المؤرخة بين ٢٢٢ و٢٣٥م قد عثر فيها على صورة للفصول الأربعة ، يظهر فيها يناير على شكل رجلين متعانقين بهذه المناسبة **(كعوان، ٢٠١٩، ص٢٦)**

وإذا انتقلنا إلى الفترة الإسلامية فإن النصوص التاريخية والجغرافية لاتقدم لنا سوى بعض الإشارات النادرة في هذا المجال، مع الخلط بين احتفالات يناير والاحتفال بعيد النيروز .

وينقل هادي روجي إدريس عن القابسي التونسي عبارة مهمة مفادها أن احتفالات العام الجديد كانت تجرى ببعض المدن التونسية كالقيروان والمهدية وطرابلس وتونس(Idris h ,p ,98) .

ووردت في بعض المصادر الأندلسية إشارات للاحتفال بيناير ، فقد ورد ذكر يناير في كتاب الحوادث والبدع للطرطوشي " ت ٥٢٥ هـ / ١١٢٥ م" حيث قال أن الناس كانت تبتاع فيه الفواكه والأجبان والإسفنج **(الطرطوشي، ١٩٥٩، ص١٤١)**

كما ورد ذكر احتفالات يناير في بعض الأزجال الأندلسية ، مثل ديوان ابن قزمان " ت ٥٥٤هـ /١١٤٩م" وجاء بصيغة **ينير** ، حيث كان الاحتفال به مصحوبا ببعض الأكلات ذكر منها اللوز ، القسطل ، التمر ، البلوط ، التين ، الزبيب **(ابن قزمان، ١٩٨٠، ص٤٦٤)**

ويقدم لنا حسن الوزان في أواخر العصر الوسيط" ٩٤٧هـ/١٥٥٠م" وصفا لاحتفلات يناير في مدينة فاس المغربية ن ولكنه يخلط بينها وبين احتفالات رأس السنة المسيحية ، لأن الوصف الذي قدمه يتطابق تماما مع احتفالات يناير ، فهو يقول أن سكان فاس يتناولون نوعا من الثريد المصنوع من خضر متنوعة كالكرمب واللفت والجزر وغيرها ، ويطبخون عدة أنواع من الخضر مجتمعة وغير مقطعة كالفول والحمص والقمح ، ويضع الأطفال على وجوههم أقنعة ويذهبون إلى الأعيان لطلب الفواكه وهم ينشدون الأغاني **(الوزان، ص٢٥٨)**

أما في الفترة الإستعمارية فنجد بعض النصوص الهامة رغم محدوديتها وندرتها ، أهمها على وجه التحديد ما قام بنشره الفرنسي إدموند ديستان عن منطقة بني سنوس بتلمسان سنة ١٩٠٥م .

٦. البعد الجغرافي ليناير الجزائر :

لا يمكن حصر الاحتفالات بيناير ضمن حيز جغرافي محدد أو منطقة واحدة على حساب باقي المناطق الجزائرية ، مثلما حاولت بعض الدراسات أن تثبت ، وإنما هي عامة وموغلة في كافة ربوع الوطن حتى في المناطق ذات اللسان العربي .

ومن خلال الدراسات التي رجعنا إليها ، وجدنا أن الاحتفالات معروفة في منطقة الأوراس منذ عهود موغلة في القدم ، فقد أشار "ماسكراي Masqueray "في دراسة قيمة عن الأوراس إلى أن عددا من القبائل الأوراسية كان يحتفل بيناير وتسميه ينار ،ويتم الاحتفال به ثمانية أيام بعد دخول العام الجديد الذي تسميه "بوينى" وفي ينار يتم تغيير كل ما هو قديم ومستعمل في الثياب والمنزل ،ويتم الاغتسال ، وفي الليلة التي تسبق الاحتفال يأكل الناس اللحم والبيض ، وليس هناك غناء ولا رقص في هذه الاحتفالات ، ويتم التصافح والتسليم كما يحدث في العيد الكبير .

كما تؤكد دراسة "إدموند ديستان " وجود هذه الاحتفالات بتلمسان ، وعل الخصوص منطقة بني سنوس التي كانت التي كانت الاحتفالات بها واضحة جدا ،و غنية بالموروث الثقافي ومجموعة من الطقوس والممارسات الرمزية ، وقد استطاع "ديستان" أن يجمع نصوصا أمازيغية نادرة عن هذه الاحتفالات (**كعوان، ٢٠١٩، ص٣٠**)

كما أشار "ديستان" إلى وجود احتفالات يناير ببعض مناطق الغرب الجزائري كندرومة بتلمسان ومعسكر وسعيدة والبيض .

ويشير " ديسبارمي " إلى وجود احتفالات يناير بمنطقة البليدة ، ويذكر لنا طريقة احتفال أهالي المنطقة بها .

كما كانت هذه الاحتفالات معروفة في كامل مناطق الأوراس ، كخنشلة وأم البواقي ، وصولا إلى تبسة وسوق أهراس.

وتوجد مناطق كثيرة في الشرق الجزائري كانت ولا تزال تحتفل بهذه المناسبة وتعطيها أهمية بالغة على غرار قسنطينة وميلة وجيجل وبوسعادة .

وإن كانت النصوص التاريخية قد سكتت عن ذكر مناطق أخرى ، فمرد ذلك ربما إلى تشابه الاحتفالات في عدد من المناطق ، وليس عدم الاحتفال بالمناسبة .

٧. خصوصية مظاهر الإحتفال في المجتمع الجزائري :

لقد ساهمت المناهج المعاصرة في مجال العلوم الإنسانية والأنثروبولوجيا الثقافية في إعطاء أهمية كبرى للدراسات والمقاربات المتعلقة بالأدب الشعبي والفلكلور والطقوس الاحتفالية الاجتماعية التي تتشكل على هامش التمثلات الذهنية والنفسية المختلفة للمعتقدات والقيم .

فالاهتمام بالموروث الشعبي نابع من الحس الثقافي للأمة سعيا منها للحفاظ عليه ليكون أداة تواصل بين الأجيال ويكون مادة ملهمة للمبدعين والفنانين ، لأنه المادة الخام التي تحفظ الخصوصية الحضارية للأمة،والتراث الشعبي لأي أمة هو قاسم مشترك لجميع أبنائها ومناطقها،لأنه يعبر عن ضميرها الجمعي ويرسخ قيمها الحضارية ،أما تنوعه فهو دليل من دلائل عبقريتها وفي الوقت نفسه هو إثراء وإغناء لتراثها المشترك مع اختلاف مناخها وتضاريسها وانتاجاتها ، حيث استطاع أن يفرض نفسه أمام كل التيارات والثقافات القادمة من الغرب .

ويبرز ضمن حيز الموروث الثقافي الشعبي الجزائري العديد من المظاهر الطقوسية التي لا يمكن حصرها والتي تخاطب الإحساس والوجدان والعقل ، وترمي للرجوع إلى الأصل وإلى العادات والتقاليد الجزائرية الأصيلة شرقا وغربا ، شمالا وجنوبا ،نذكر منها الزغاريد والأغاني بجميع طبوعها والرقصات بجميع أشكالها والتي لا يمكن تصور احتفال

جزائري دونها (**إبراهيم، ١٩٨١، ص٣٢٣**) ، إضافة إلى طقوس احتفالية أخرى لا تقل أهمية عنها لها جذورها التاريخية الراسخة في عمق التراث الشعبي الجزائري.

٧-١- الزغاريد في الاحتفالات :

عند الحديث عن الطقوس الاحتفالية لأي مناسبة في المجتمع الجزائري ينبغي الإشارة أولا إلى عادة الزغاريد المتوارثة ضمن الطقوس المهمة في التعبير و والتي تسعى النسوة دائما للحفاظ عليها وبقائها باعتبارها أساس أي احتفال مهما كان نوعه كدليل على الفرح والابتهاج والبشرى ، ويطلق على الزغاريد ضمن حيز المغرب العربي باسم " اليويو" بالدارجة ، إضافة إلى مسميات أخرى كا"التولويل " وترجع أصول هذه العادة إلى فجر الحضارة حيث اعتبرها هيرودوت نوعا من أنواع الصياح الطقوسي تعتمده النسوة في المعابد الإغريقية ، لذا تعتبر الزغاريد طقسا جماعيا تتحد فيه جهود كل النساء (Tillon,g,opcit, 98)، وللزغاريد وظيفة مزدوجة فهي وسيلة إخبارية من خلالها يتم الإخبار والإشهار عن الحفل المقام ، كما أن لها وظيفة نفسية هي التعبير عن الفرح والنشوة ، كما تحاول النساء دائما من خلال هذه الوظيفة أن تحافظ على هذا الموروث الذي يحمل في طياته رمزا من رموز الثبات والاستمرارية في إثبات وجودهن وقدرتهن ومكانتهن ،إذ تعبر المرأة عن تميزها بهذا الطقس الاحتفالي الذي لا يمكن لسواها القيام به .

كما تمنح الزغاريد علامة حضور إجباري للعالم النسوي ، فإن كان محضورا على المرأة مشاهدة الرجال ومقابلتهم فإنها يمكن أن تستثير مشاعرهم بوجودها من خلال صوتها ، لذلك تشكل هذه الزغاريد علامة بروز اجتماعي ووسيلة اعتراف في الوقت نفسه ، لذا نجد من النساء من تعمد إلى تعليم بناتها الزغاريد منذ بلوغهن ، لذا فقد حافظت هذه العادة الاحتفالية على وجودها عبر الأزمنة والأجيال المتعاقبة لتطبع أعراس الجزائريين ومختلف احتفالاتهم كتعبير أصيل عن الفرح والبشرى .

٧-٢- الأغاني الشعبية :

تعد الأغنية الشعبية ركنا من أركان ثقافتنا الذي يعكس جانبا من عاداتنا وتقاليدنا ، فالأغنية الشعبية تمتلك خاصية تميزها عن بقية أشكال التعبير الشعبي كونها تؤدى عن طريق الكلمة واللحن والإيقاع أحيانا ،والمعروف أن للأغنية الشعبية تعريفات عديدة يمكن أن نقول أن أبسط تعريف لها هو أنها قصيدة غنائية ملحنة مجهولة النشأة بمعنى أنها نشأت عند العامة من الناس في أزمنة ماضية وبقيت متداولة أزمانا طويلة ولها خصوصيتها التي تميزها عن بقية ألوان الشعر الشعبي لأنها لا تعتمد على الفردية بل هي جماعية الآداء، كما أنها تعبر عن مشاعر العامة لا عن مشاعر مغنيها فحسب (**موسى ، ٢٠٠٦، ص١٠٦**)

والكثير من الأغاني الشعبية نسجت لها بعض الأساطير والقصص لأسباب تسميتها منها الحقيقي ومنها ما نسجه خيال العامة بما يتلائم وما يعيشه من مشاعر، كما أنه هناك العديد من الأغاني قد ادثرت أو في طريقها

للاندثار نظرا لاختفاء بعض المناسبات من عادات الجزائريين ،إضافة إلى كونها موروثا شعبيا شفاهيا أدت عملية تناقله عبر الأجيال إلى ضياعه أحيانا واختلاف في آدائه أحيانا أخرى بسبب تعدد اللهجات .

وظل البحث لفهم الأغنية الشعبية المصاحبة لاحتفالات الجزائريين في التراث الشعبي قائما، فكم من باحث كرس جزء من حياته من أجل دراسة التراث الشعبي بصفة عامة والأغاني الشعبية بصفة خاصة كالأديب الألماني "هردر" الذي اعتبر الشعر أقدم اللغات البدائية (**روزلين، ١٩٨٠، ص١٦**) ،فاعتنى بشكل خاص بالأغاني الشعبية وبذل جهودا ضخمة للبحث عن أصولها ، ويعتبر أول من استعمل مصطلح الأغنية الشعبية، إذ قام بجمع التعابير والأغاني الشعبية وسمى ديوانه " أصوات الشعوب من خلال أغانيها" ومنذ ذلك التاريخ استقر مفهوم هذا المصطلح لدى الدارسين الأوروبيين ، وانتشر استخدامه بهذا المفهوم رغم أن الأغاني الشعبية قديمة قدم الإنسان حيث كانت غذاء روحيا له .

وتؤدي الأغنية الشعبية وظيفة اجتماعية كونها تعبيرا مباشرا عن الممارسات اليومية في الحياة ، حيث تجمع في داخلها بين قيم الشعب المتوارثة وأسلوب معايشة لتطلعات مستقبلية ،كما تحمل في ثناياها عادات وتقاليد المجتمع بما تحتويه من مقولات أخلاقية وروحية وفلسفية ،كما يكن من خلال الأغنية الشعبية المتداولة في الاحتفالات أن نستخلص النظرة التأملية للشعب وتجربته العملية في صنع الحياة ومنحها قيما تبرز وجوده الإنساني وفق إرادته وظروف البيئة التي تحيط به .

ومن خلال ما سبق نستنتج أن الأغاني الشعبية في احتفالات الشعب الجزائري رمز أصيل من الرموز الطقوسية الحاضرة بشكل دائم حيث تواترت بين الشفاه فاكتسبت صفة الاستمرارية معبرة عن إبداع جماعي وفني مأثور يتوسل بالكلمة واللحن والإيقاع المعبر عن أفراح الجزائريين سواء تعلق الأمر بالزواج أو بالمناسبات المختلفة والأعياد والأفراح تكتسي حلة الترفيه والسعادة والرقص .

٧-٣- الرقص التعبيري:

يدخل الرقص التعبيري ضمن الفنون التي تعتبر نافذة تطل على الجانب السلمي للنفس البشرية ، فالفن لم يكن يوما مظهرا من مظاهر الحياة العقلية بل كان ولا يزال مظهرا من مظاهر الحياة الشعورية النفسية وخلقا ذاتيا ينبض بالحياة ويكشف عن إحساس الفرد ويجمع بين الدقة في التفكير والجمال في التعبير.

والتعابير الحركية الراقصة تمثل صورة فنية تعكس مستوى الآداء ضمن مجمع الحركات التي يؤديها الإنسان في حياته اليومية ، المعبرة عن نوع من التحول النفسي ، فالرقص من هذا الجانب من شأنه أن ينتقل بالممارسة إلى حالة أخرى مغايرة للمألوف عن حياته المفعمة بمشاعر النشوة والابتهاج الفردي والجماعي وهو ما يجعل الرقص مختلفا عن الحركة في صورتها الاعتيادية (**السيد،٢٠٠٧، ص١٢٩**) ويتخذ الرقص التعبيري أشكالا مختلفة من التعبير عن الأبعاد الدلالية لحركة الجسد أهمها:

٧-٣-١- التعبير الجسدي:

من خلال الهيئة الجسدية والحركات بعيدا عن التعبير اللفظي الذي يساعد الوعي التام والقدرة المسبقة المثيرة ويشمل التعبير الطبيعي للانفعالات والحركات السردية المستعملة في مجال التبادلات اللفظية وكذا الحركة الوصفية التي تسمح للشخص بالتعبير عما يرى ويحس ويلمس .

٧-٣-٢- النظر :

حيث يلعب النظر دورا رئيسيا في عملية التواصل غير اللفظي خاصة أثناء التعارف والتعبير عن المشاعر والأحاسيس وتختلف نظرة العيون باختلاف المواقف من دهشة أو اعجاب ...الخ

٧-٣-٣-هيئة الجسم:

وهي الوضعية التي يتخذها الجسد في الحيز الذي يتحرك فيه ،حيث تظهر من خلالها ردود الفعل والتي تحدد هيئات كثيرة سواء هيئة الانتباه الذي تتصلب فيه الأعضاء ويميل فيه الجسم والرأس للأمام أو الرفض الذي يتخذ فيه الجسم اتجاه يعاكس المخاطب فيه ،أو هيئة الامتداد التي تعكس مدى الاعتزاز والتكبر عن طريق تقلب الجسد وشموخ الرأس،أو هيئة الانكماش التي تعطي مؤشرا عن الخضوع أو الاكتئاب والانهيار (**مارلين، ٢٠٠٤،ص١٧٧**) وكلها حركات جسدية تعبر عن واقع ذو دلالة اجتماعية ،تتبلور على شكل رقصات ذو علامة ككل العلامات التي لا تدرك إلا من خلال استعمالاتها وكل استعمال يحيل إلى نسق وكل نسق يحيل إلى دلالة تندرج ضمن سجل الذاكرة الجمعية وسجل الحركة وسجل الجسد ككل .

وتختلف الرقصات في الجزائر باختلاف الطبوع الفلكلورية السائدة في كل منطقة من مناطق الوطن والتي تميز مجالا جغرافيا عن الآخر وتعكس بذلك أنواعا مختلفة من أشكال الاحتفالات وما يصاحبها من طقوس ذات دلالات تراثية منبثة من عمق الأصالة والتراث الجزائري ، فالرقصات القبائلية تتخذ في جوهرها شكلا متميزا يختلف عن الرقصات النايلية أو الرقصات المعروفة في المحافل السوفية أو رقصات الزقايري ،أو رقصات أهليل في الجنوب ، وهذه الاختلافات تشمل حركات الجسد وتشمل أيضا تعابير الوجه ونمط الطقس الاحتفالي ككل، فلكل رقصة امتدادها التاريخي وبعدها العرقي والحضاري الذي يغذيها ويطبع تفاصيلها ، ويبقى القاسم المشترك الذي يجمعها هو الاحتفال كمظهر من مظاهر الفرح والسرور والذي لا بد أن يرافقه الرقص كتعبير عن ذلك الشعور.

٨. خاتمة:

وفي نهاية هذه المقال الموسوم باستحضار الظاهرة الاحتفالية ضمن المخيال الثقافي للمجتمع الجزائري يجدر بنا الإشارة إلى أن هذا الموضوع يعد من الموضوعات التي لا تزال بحاجة لدراسات جادة ومستفيضة من زاوية أنثروبولوجية في الوطن العربي والجزائر على وجه الخصوص،نظرا لنقص التراكم المعرفي الاجتماعي والثقافي في الدراسات الخاصة بالبحث في بنيات المجتمع ، وأيضا لكونها من المسائل المرتبطة بثقافتنا وهويتنا الممتدة ضمن حيز جغرافي واسع يتخطى حدود المغرب العربي الكبير والتي تندرج أيضا في سياق التراث الذي صنعته تراكمات الثقافات المتعاقبة ،عربية أمازيغية وإسلامية وإفريقية،تراث وجب الاحتفاظ به في زمن تتآكل فيه الثقافات المحلية أمام سطوة العولمة الثقافية ، وتبقى الدلالات الرمزية التي اقتصرنا على ذكرها في مداخلتنا مجرد نماذج ضئيلة من الموروث الشعبي الذي يستنبطه موضوع المناسبات والاحتفالات داخل الذاكرة الجمعية للمجتمع الجزائري التي تزخر بطبوع وطقوس كثيرة تنتشر في ربوع الوطن في صورة مشرقة تعكس فسيفساء فنية لمدى التمازج والتلاقح الحضاريين .

٩. قائمة المراجع:

- **المؤلفات:**

- ابن قزمان ، (١٩٨٠)،ديوان ابن قزمان، ،المعهد الإسباني العربي للثقافة،مدريد.
- الطرطوشي أبوبكر،(١٩٥٩)،الحوادث والبدع، تحقيق محمد الطالبي ،المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية،تونس.
- الوزان الحسن،وصف افريقيا، ،دار الغرب الإسلامي ، الجزائر.
- الجويلي محمد الهادي ،(١٩٩٤)، مجتمعات للذاكرة ومجتمعات للنسيان،دراسة مونوغرافية لأقلية سوداء بالجنوب التونسي،دار سراس للنشر،تونس.
- ابراهيم نبيلة،(١٩٨١)أشكال التعبير في الأدب الشعبي ، دار المعارف ،القاهرة.
- باقر طه ،(١٩٨٦)،مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين، دار الشؤؤون الثقافية العامة ،بغداد.
- بورايو عبد الحميد ،(١٩٨٦) القصص الشعبي في منطقة بسكرة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر.
- حاج مراد (مولاي)،(٢٠٠٠)،مكانة التحقيق الميداني في الدراسات الأنثروبولوجية ، المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية ، وهران .
- موس مارسال ،(٢٠١١) بحث في الهبة شكل التبادل وعلته في المجتمعات القديمة ، ترجمة المولدي الأحمر، مركزدراسات الوحدة العربية ،بيروت.
- روزلين قريش ليلى ، (١٩٨٠)القصبة الشعبية ذات الأصل العربي ،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر .

- **المجلات:**

- السيد عبير ،(٢٠٠٧) التعبير الحركي والرقص، مجلة الحداثة، المجلد ٢٤، العددان ٤٧-٤٨.
- المبروك الشيباني المنصوري،(٢٠٠٠) جماليات الجسد وطقوسه الإحتفالية في الأعياد في "شمال افريقيا"،مجلة دراسات أندلسية ،مركز تحقيق تراث العالم الإسلامي، المجلد، ٢٤، تونس.
- صحرة شعوية ، براك خضرة،(٢٠٢٠)،المؤتلف والمختلف في الفضاء الطقسي لاحتفالية يناير بين طقسنة الثبات وحتمية التغير، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية،جامعة قسنطينة٢ ، المجلد ٦، العدد١ .
- كعوان فارس(٢٠١٩) احتفالات يناير بالجزائر ، جذورها التاريخية ، تمظهراتها ودلالاتها الرمزية (مقاربة تاريخية أنثروبولوجية)،مجلة التاريخ المتوسطي،العدد١.
- مارلين دمرجيان افرام ،(٢٠٠٤) معاني الألوان ورموزها ، مجلة الحداثة ، العددان ٤٧-٤٨.
- موسى إبراهيم (٢٠٠٦)،تراث الموسيقى الشعبية الفلسطينية ، مجلة جامعة النجاح الوطنية للأبحاث (العلوم الإنسانية) المجلد ٢٣(١).

- **المذكرات:**

- بووشة الهادي،(٢٠٠٦) ،الوعدة التمثل والممارسة،دراسة أنثروبولوجية بمنطقة أولاد أنهار، وعدة سيدي يحي بن صفية نموذجا، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في علم الإجتماع،جامعة وهران،الجزائر.

- **قائمة المراجع باللغة الأجنبية:**

- Bennewitz (patris) ,(1997)la sociologie de Bourdieu,Paris,puf,2ème éd.
- Tillon(G) ,(1966)Le harem et les cousins,éd,le seul,Paris.
- Idris HADYROGER,(1954) ,Fètes chrétiennes célébrées en Ifriqiya à l époque des zirides, in R.A.n°98.